مفهوم الشطح
بين القبول والرفض

The concept of flatness

between acceptance and rejection

إعداد الدكتور

أحمد شاكر عبدالعزيز

Ahmed Shaker Abdelaziz

استاذ الفلسفة الإسلامية المساعد ، قسم العلوم الاجتماعية

كلية التربية – جامعة دمنهور

مفهوم الشطح بين القبول والرفض

أحمد شاكر عبدالعزيز
قسم العلوم الاجتماعية ، كلية التربية ، جامعة دمنهور ، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahmedshaker@gmail.com

الملخص:
فإن موضوع بحثي مفهوم الشطح بين القبول والرفض. فإن الشطح فائض عن وجد ، ففيه من الاشارات العميقة التي لا يصل الى الوقوف على مودعها إلا من غاص في بحره وشرب من صافي أمواج صدره وفهم نافثات سره المتولدة المنتشرة من سكره. فلقد لجأ السراج (ت ٣٧٨ هـ) الى مقارنة الشطح بنهر ضيق الضفتين ينطلق الماء فيه بسرعة ، فيفيض على جانبيه ، وهي محاولة مادية مباشرة تصور لنا عدم تحمل المريد لهجوم أنوار الحقائق الروحية التي تقتحم دواخله (القلب) ، حتي أنه يمكننا وصف سيل هذه الأنورار بأنها تطفح حتي تبلغ لسانه ، فيردد لسان المشطوح كلاماً يدركه السامع يفهم أنه ينطوي على مفارقات خطيرة ، باستثناء الصوفية من مدرسة السكر أصحاب القدرة على اكتشاف وتعميق المعني الحقيقي لها.
وللأسف نتج خلط بين الشطح والشطط وربما السبب الأول هو أن بعض المعاجم لم تقدم لنا تعريفاً وشرحاً واضحاً لمصطلح الشطح ، ففي معجم اللغة العربية يقدم مادة **ش ط ح** في اللغة : شطح في السير أو القول : تباعد واسترسل **أما الشطط** : بفتح الشين والطاء مصدر شط ، مجاوزة الحد.

الكلمات المفتاحية : الشطح ، الشطط ، البسطامي ، الحلاج ، الاتحاد .

The concept of flatness between acceptance and rejection

Ahmed Shaker Abdelaziz
Department of Social Sciences, Faculty of Education, Damanhour University, Egypt.
Email: ahmedshaker@gmail.com

Abstract :
The subject of my research is the concept of shallowness between acceptance and rejection. The thirst is more than found, for it contains deep signs that only one who dives into his deepness, received from the clear waves of his chest, and understands the jets of his secret generated and spread from his intoxication. As Al-Saraj (d. 378 AH) resorted to comparing the river with a narrow-banked river, in which the water flows quickly, overflowing on its sides, and it is a direct material attempt that depicts the aspirant's intolerance to the attack of the lights of spiritual realities that break into his heart (the heart), so that we can describe the torrent of these lights. That it overflows until it reaches his tongue, and the tongue of Flatness repeats words that the listener understands and comprehends that involves dangerous paradoxes, except Sufism from the school of ElSukar, who can discover and deepen the true meaning of it. Unfortunately, there was confusion between flatness and that, and perhaps the first reason is that some dictionaries did not provide us with a clear definition and explanation of the term Elshatat which exceeded the limit.

Keywords: Flatness, Al-Shattah, El-Bistami, Al-Holag, Unification.

المقدمة

الحمد لله الذى تتم به الصالحات قال تعالى : " وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا " [الكهف ١٤] كان ذو النون المصري ت ٢١٥هـ يقول في مناجاته : " يا واهب المواهب ومجزل الرغائب أعوذ بك من النزول بعد الوصول ومن الكدر بعد الصفا ومن الشوق بعد الأنس " (١)

فإن العمل الحقيقي – إن أمكن – في مجال التصوف رغم صعوبته هو أن نعزل أدعياء التصوف عن الصوفية الخالصين لله المخلصين لطريقتهم فنجرد التصوف عما الحق به ، فنظهر صوفية الحقائق المتبعون للشريعة المقتفون خطي الأوائل عن صوفية الاشكال والرسوم اصحاب البدع والاهواء ،(٢) لذلك سيكون بحثي بعنوان

مفهوم الشطح بين القبول والرفض .

أولاً : أهمية الموضوع :

فإن الشطح فائض عن وجد ، ففيه من الاشارات العميقة التي لا يصل الى الوقوف على مودعها إلا من غاص في بحره وشرب من صافي أمواج صدره وفهم نافثات سره المتولدة المنتشرة من سكره . فلقد لجأ السراج

(١) الاصفهاني ، حلية الأولياء ، ج ١٠ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٠
(٢) ابن تيمية ، رسالة الصوفية والفقراء ، تحقيق د . محمد جميل غازي ، دار مدني للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٥ .

(ت٣٧٨هـ)[١] الى مقارنة الشطح بنهر ضيق الضفتين ينطلق الماء فيه بسرعة ، فيفيض على جانبيه ، وهي محاولة مادية مباشرة تصور لنا عدم تحمل المريد لهجوم أنوار الحقائق الروحية التي تقتحم دواخله (القلب) ، حتي أنه يمكننا وصف سيل هذه الأنورار بأنها تطفح حتي تبلغ لسانه ، فيردد لسان المشطوح كلاماً يدركه السامع يفهم أنه ينطوي على مفارقات خطيرة ، باستثناء الصوفية من مدرسة السكر أصحاب القدرة على اكتشاف وتعميق المعني الحقيقي لها .

وللأسف نتج خلط بين الشطح والشطط وربما السبب الأول هو أن بعض المعاجم لم تقدم لنا تعريفاً وشرحاً واضحاً لمصطلح الشطح ، ففي معجم اللغة العربية يقدم مادة **ش ط ح** في اللغة : شطح في السير أو القول : تباعد واسترسل [٢] **أما الشطط** : بفتح الشين والطاء مصدر شط ، مجاوزة الحد " **فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ** " [سورة ص – ٢٢] ، وكأن الشطح والشطط بمفهوم واحد وهذا من أكبر الاخطاء . فإن الصوفي الحقيقي لا يبدأ طريقه بالشطح ، وكانوا أهل التصوف يستعيذون منه في بداية الطريق . " وأقل ما يوجد لاهل الكمال الشطح ؛ لانهم متمكنون في معانيهم ، وانما وقع في الشطح من كان في بداية ، وكان مراداً بالوصول الى الكمال والغاية ، فتكون بدايته نهاية الارادات".[٣]

(١) الطوسي ، اللمع ، تحقيق د/ عبدالحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ، ط١ القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٥٤ .

(٢) د . احمد مختار عبدالحميد عمر ، معجم اللغة العربية ، مادة ش ط ح ، عالم الكتب ، ج٢ ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، ص ١١٩٩ .

(٣) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٥٨ .

فإن الشطح الحقيقي يحدث عن تجربة وجدية حقيقية ، بل يعتبر د. رفيق العجم الشطح أوليات دفاعية لا واعية يتخذها الفرد حفاظاً على توازنه النفسي وتخفيفاً للقلق الذى يعاني ، وهي ضرورة توازنية في الشخصية . (١)

أما المدعي فإنه يبدأ بالشطح وهو عينه الشطط ، قال تعالى : " **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** " **[الجن – ٤]** وهذا الشطط مغلف بأقوال الالحاد والزندقة وتلخصه عبارة المثل الشعبي " أول ما شطح نطح " وذلك يؤكد أن كل فكرة حقيقية تدور حولها بعض الأفكار المزيفة ، اما بغرض التشكيك في أصالة هذه الفكرة ومدي تأثيرها في الحياة الروحية الاسلامية ، أو بغرض التشكيك في شخصيات الأمة الاسلامية وبالتالى التحلل من العقائد الايمانية .

فهناك بعض النصوص للصوفية ، يمكن دمغها غالباً بصيغة شطحية، وهنا كانت ظاهرة الشطح من الظواهر المهمة والبارزة في نتاج الروحانية الاسلامية ، فإن النص الشطحي له قيمة فاعلة في الكتابات الصوفية والشطح من الألفاظ والمصطلحات التي تدخل تحت الألفاظ الغريبة عن الاسماع واللسان المعتاد . والمصطلح الصوفي مر بثلاث مراحل ، ويمثل مصطلح الشطح المرحلة الثانية والتي تمتد من اواخر القرن الثالث الهجري وحتي نهاية القرن السادس الهجري ، وفى هذه المرحلة تبلور مصطلح الشطح وما حمله من وجد فاض به اللسان وعبر عن آفاق ومشاعر بألفاظ عذرها البعض واستهجنها البعض الآخر لغربتها عن الألفاظ المعتادة في الدين القويم . ويري الدكتور /

(١) د. رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩ ص X

مصطفي عبدالرازق [١]. أن الشطح ظاهرة خاصة بالتصوف وارتبطت بمشايخ الصوفية ، كتكوين فني لمصطلح الشطح ، إلا أن الحقيقة والواقع يؤكدان على ان ظاهرة الشطح موجودة كل آن ولحظة في حياتنا اليومية ، ويندفع البعض ويري أن دراسة مسألة الشطح ليس من ورائها فائدة ، وأقصي فائدة من ذلك هو الحصول على ترقية ما ، والحقيقة أن الشطح في أبسط معانيه هو الحركة[٢] والحياة عكس السكون والجمود ، فطالما هناك حياه إذن هناك شطح اقصد حركة . فنحن نسمع ونري كل يوم ممن يدعون بأنهم يمثلون علماء الدين بأن العري حرية شخصية والحشمة والعفة والطهر ليست من ثوابت الدين وقيم الاخلاق ، أليس ذلك شطحاً وشططاً ؟! ، قال تعالى : " **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** " **[الاعراف- ٨٢]** اليس من يسب الصحابة والتابعين ويقدسون البقرة المقدسة شطحاً ؟!

فمن ينتصر لمبادئ حزبية ومنفعة شخصية على حساب الاخلاق والدين، أليس كلامه يعد شطحاً وشططاً ؟! فويل لمجتمع تشكل ضميره بين تلك الشطحات ! ، فلا نستغرب كثيراً ولا نصطدم عندما نري من يذبح ويقتل بحجة أنه محب ! فكيف لنا أن نساوي بين محبة قاتل ومحبة ابو يزيد(ت ٢٦١هـ)؟![٣]

---

(١) ماسينيون ، ومصطفي عبدالرازق ، التصوف والاسلام ، ترجمة د . ابراهيم خورشيد وأخرون ، دار الكتاب اللبناني ،ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٧ .

(٢) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٥٣ وكذلك ، السلمي ، رسالة في غلطات الصوفية ، تصحيح عبدالفتاح الفاو محمود ، ضمن كتاب مجموعة اثار السلمي ، مؤسسة مطالعات اسلامي ، طهران ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٤٧٩.

(٣) هو طيفور بن عيسي بن سروشان ، كان جده مجوسياً فأسلم ، وهم ثلاثة أخوة ، أدم ، وطيفور ، وعلى ، وكلهم زهاد ، عباد ، أرباب أحوال ، وهو من أهل بسطام ، مات سنة ٢٦١ هـ (انظر ترجمته في : ابو نعيم ، حيلة الأولياء ٣٣/١٠ ، الشعراني ، الطبقات ٨٩/١) القشيري ، الرسالة ص ١٧ ، وابن خلكان : وفيات الاعيان ٣٠١/١ ، =

من هنا ظهر من يؤيد هذه الظاهرة ، وهناك من يعارض هذه الظاهرة بشدة ، بل يعتبرها من أسباب الفتن والخروج عن الدين . لهذا نجد أننا ملزمون بايضاح وتحليل هذا المصطلح الفني عند صوفية المسلمين ونعني به مفهوم الشطح الذى أثار لبساً عظيماً حول اللغة الصوفية . فقد يواجه الصوفي صاحب هذه العبارات بالإنكار والتأنيب وغالباً ما يواجه بالكفر والالحاد والعياذ بالله تعالى، خاصة وإن معاجم اللغة العربية لا تكشف لنا عن حقيقة هذه العبارات أو عن تأويلها . بل في أغلب الاحيان خلطت هذه المعاجم بين الشطح والشطط، فإن دعوة الشطط الالحاد .والشطط : مجاوزة الحد في الظلم وغيره ، ومنه اشط في السوم إذا أبعد فيه ، أي :يقول قولاً هو في نفسه شطط ، الفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله [1] لذلك قال تعالى في حق الشاطح الواجد : "**وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** " **[الكهف – ١٤]** أي قويناها بالصبر والسكينة .

=السلمي : طبقات الصوفية ، ص ٦٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٥/١١ ، المناوي، الكواكب الدرية ٤٤٢/١) وشيخنا الدكتور عبد الحليم محمود أثناء حديثه عن نسب البسطامي ، يذكر أن ابوه كان رجلاً صالحاً يتحري مرضاة الله في جميع شئونه ، وكانت أمه من الصالحين كثيرة التقوي والحياء والخوف ، زاهدة عابدة ، صائمة قائمة ... ، وكأن الشيخ يحاول أن ينفي عنه أصوله المجوسية ، لدرجة وصلت بشيخنا القول بأن البسطامي كان في رعاية وكنف الخالق منذ الأزل ، " فإن البسطامي في عناية إلهية أزلية مثله مثل الجنيد والحارث المحاسبي

وأبو العباس المرسي :" [د/ عبدالحليم محمود ، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ، دار المعارف ، ط٢ ، القاهرة ، د.ت ص ١٦] .

(١) الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق د.خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، ط٣ ، بيروت ، ٢٠٠٩ م ، ص ١١٤٥.

من هذا المنطلق وجدنا الهروي (ت ٤٨١هـ) [١] باعتباره صاحب اتجاه سني يميز بين الشاطح الواجب والشاطط الناطق عن الهوي ، فيقول : " ومنهم – من الصوفية المنحرفين – من لم يميز مقامات الخاصة وضرورات العامة ، ومنهم من عد الشطح المغلوب مقاماً ، وجعل لبوح الواجد – صاحب الوجد – ورمز المتمكن – الصوفي الراسخ – سبباً عاماً واكثرهم لم ينطق عن الدرجات ".

وهذا ما تنبه اليه السلمي (ت ٤١٢هـ) [٢] ان سبب انقسام العلماء حول الشطح يرجع الى أن الواصف غير المتكلم ، لهذا فإن " الشطح للخراسانيين لانهم يتكلمون عن أحوالهم وعن الحقائق وأهل العراق يصفون أحوال غيرهم وليس الواصف بشاطح "

وهنا نجد أن للشطح ظاهر وباطن أو أن اسباب الشطح تنقسم الى اللغة التي تمثل الظاهر والوجد الذى يمثل الباطن ، لذلك ركز العلماء في فهم ظاهرة الشطح على اللغة والوجد فإن سبب الشطح : هو التحلي بالأحوال ، وذلك إنما يكون لمن بقي فيه بقية من أحكام الامكان ورؤية الممكنات ، فإذا زالت عنه أحكامها بترك أثارها ، ونفض غبارها لم يبق شطح حين ذلك [٣].

لذا فإن أول صعوبة تقابلنا لفهم مدلول ألفاظ الشاطح هو كيفية فهم أو ايجاد علاقة بين ألفاظه ووجده ، فإن البعض يري الحقيقة عند الصوفي بالتعبير بالألفاظ والكلمات الصادقة عن شعوره واحساسه ، فالكلام ، بلغة حقيقية تشترط

(١) د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل الى التصوف الاسلامي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٣ ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٥١ .
(٢) السلمي ، غلطات الصوفية ، مصدر سابق ص ٤٦٩ .
(٣) القاشاني ، لطائف الاعلام ، تحقيق د / سعيد عبدالفتاح ، ج٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ص ١١ .

الأمانة ، وهو المنطلق لتأسيس مفهوم التحقق داخل ذات الصوفي ، تطابق الذات واللغة ، وهو أول الطريق للدخول الى واقع تشكل الكلمة وجوده . إن لغة الصوفي ليست لغة بين الأفراد بغرض التواصل ومعرفة أفكارهم ، فاللغة بالنسبة للصوفي ليست ظاهرة اجتماعية ، وانما اللغة عند الصوفي تمثل تحرره من عالم الممكن الى عالم الحق عالم الواقع . فإن اللغة لا تشكل عائقاً أمام الشعور والفكر ، خلاف ما يقول برجسون [١].

فلماذا نعطي للأدباء والفنانين والشعراء الحق في اعطائهم للكلمات أكثر من معانيها ، ونقول بان ذلك خلقاً جديداً للفكر واللغة . ونستنكر تلك المحاولة عند الصوفية ، ونسميه ابتداع وضلال ، بل إلحاد وزندقة ؟ !! .

وبذلك تقابلنا صعوبه أكثر تعقيداً وهي صعوبة فنيه أكثر منها دينية أو عقائدية وهو محاولة التعبير عن معان بالغة الدقة والتجريد بمفردات شديدة العمومية ، فإن الشطح هنا عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته ، وهاج بشدة غليانه وغلبته [٢].

وكأن المحقق الصوفي تعالى عن اللغة لانه يسكن الواقع ؛ يتيقن من حضوره كونه تكراراً يعيشه ، لذا فإن مغامرته تنشد الى حضور يركز ثقله في اللغة ، ورصانتها وقدرتها على الانغماس في الواقع ، وهذه العبارات التي نبعت من واقع صدق حالهم مع الخالق سبحانه ، فاللغة الصوفية هي نتاج ممارسة عملية هم عاشوها وهم شهداء عليها ، فالصوفي لا يقول أي شئ او يزيد أو ينقص ؛ لانه لا يستطيع أن يترك ذاته تتأرجح بفعل سحر الألفاظ ولا يهرب الى

(١) لوي لافيل ، الكلام والكتابة ، ترجمة د. نازلى اسماعيل ، باريس ، ١٩٤٧ م ، ص ١٥ .

(٢) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٥٣ .

تأملات مجردة كما يعتقد البعض ؛ لان الحضور الذى يسكنه يتطابق مع معرفته ولغته وحتي حياته ، فهو يتحدث لينطق بهذا الحضور .

وبذلك يصح قول القائل عن هذا :

أنا من أهوي ومن أهوي أنا [١]

فالحاضر هو الله والشاهد هو الله ، فإن الطالب لله بغير الله ، فهو مردود وطريقه مسدود ، فإذا طلب الله ، فلا يصح له وجوداً أبداً ، فمن طلب الله يعني بالله فضرورة أن يجده ومن طلبه بغيره كيف يصح أن يجده ؟ وبذلك تبرر عبارات مثل سبحاني ! أنا أنا ! وغيرها من عبارات – حسب فهمهم – ظاهرها شطحي وباطنها حقيقي [٢] لدرجة أن الحلاج (ت ٣٠٩هـ) يقول :

" سقاني مثل ما يسقي كفعل الضيف بالضيف .

ومعني ذلك أن المعاني هي الأهم حتي ولو تتعارض مع ظاهر الشرع ، فإن ظاهر الشريعة عند **الحلاج** تنفي الحضور الإلهي وتجليه ، وبذلك فإن ظاهر الشريعة شرك خفي وحقيقة الكفر معرفة جلية فيقول :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدي وعند المسلمين قبيح[٣]

(١) ابن عربي ، كتاب المسائل ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ م ، ص ٣١٧.

(٢) ابن عربي ، رسالة الانتصار ، مصدر سابق ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن عربي ، رسالة الى الامام الرازي – مصدر سابق ، ص ١٩١ .

ولهذا يري **ذو النون المصري** أن الأهم هو المعني ، وليس الألفاظ والعبارات ، فإذا توافقت المعاني مع الشرع ، فذلك هو التوفيق والسلامة ، فينبغي أن تفهم إذا فهمت المعاني فلا مشاحه في الألفاظ ، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه بالمعاني تعبدنا لا بالالفاظ .

ويقول ذو النون المصري :" إظهار المعني هو الوجد ، ونفي السرور هو الموجود ، وإقامة القلب هو الواجد " (١)

وهناك من يرفض ذلك ويري أن اللغة جعلت للتفاهم والتواصل وليس للغموض(٢) ، فهل الواقع هو ما يشطح به الصوفي من كلمات – الفاظ ؟ وهل هناك أفصح بياناً من لغة القرآن الكريم ؟ فلم نجد في قصص الأنبياء من قال مثلاً " أنا الله " أو " سبحاني ! سبحاني! " ، حتي سيدنا عيسي – عليه السلام – وهو كلمة الحق لم يستطيع أن يقول عبارة – أنا الله – ،قال تعالى : "**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** " فإذا كانت شطحات الصوفية في شكل ألفاظ ومعاني جديدة للقاموس الاسلامي ، فكانت الأنبياء والرسل هم الأولي بذلك .

وهناك مخالفة اساسية تخالف الشريعة يؤكد عليها الشطح المغلوط (الفاحش) وهى إمكانية الاتصال دون وسائط ، على الرغم من أن التصور الإسلامي العام قد أكد على عدم إمكانية الاتصال المباشر ، أو المستقر بين الله والانسان بفهم أن الانبياء أنفسهم لم يفعلوا سوي استقبال شرائع محددة ، ومن ثم

(١) الجنيد ، السر فى أنفاس الصوفية ، تقديم د / عبدالهادي داود ، تحقيق د/ جوده محمد أبو اليزيد ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، ١٤٢٦ هـ ص ٢٢٧ .

(٢) د / عبدالكريم الخطيب ، التصوف والمتصوفة في مواجهة الاسلام ، دار الفكر العربي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٥ .

إبلاغها للبشر. وبذلك يستنكر د. محمد اقبال شطحات الصوفية ، لان حالة السكر التي يقوم بها الصوفية عندما يتجلى الله على أحد من عباده تتعارض مع روح الاسلام الذى يطلب الصحو لا السكر ، فالإسلام يريد أمة صاحية مجاهدة تخرج جيلاً من الصحابة ، من أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

كما أنه يرفض فكرة الفناء ومذهب وحدة الوجود : فالاسلام يطالب باثبات الذات لا اماتة النفس ، فالرسول هو المثل الأعلى للانسان الكامل ، لتأثيره العميق في تاريخ البشرية لا لانه أفني آنيته ، أما مذهب وحدة الوجود فهو مذهب فلسفي بحت يباين فكرة التوحيد ، لان وحدة الوجود تعني ان لا موجود الا الله ، بينما يثبت الاسلام وجود سائر الموجودات ، وأن الله ينفرد بالألوهية لا بالوجود ، إن مذهب وحدة الوجود دخيل على الاسلام من دين البراهمة [١]

وبالتالى أراد الشعراني [٢] ت ٩٧٣ هـ أن يبرر ذلك ، فقال " إن هذه الألفاظ – الشطح – لا تقع في حال الانبياء لكمالهم في علمهم وحضورهم ، ولزوم عبوديتهم على الكشف والشهود "

ويصبح المعيار هنا هل هذه الشطحات تخالف الشرع ؟ فإن ما بقي في الحضرة الإلهية أمر تكليفي الا والشريعة قد جاءت به ، فما بقي لولي إلا سماع أمرها ، فكل من قال من أهل الكشف : إنه مأمور بأمر خاص يخالف الشرع المحمدي ، فقد التبس عليه الأمر ، وما عدا الأوامر المشروعة فللأولياء فيها القدم الراسخة . إن التصوف يمس الدين على نحو فريد لا يماثله فيه علم آخر ،

(١) د. احمد محمود صبحي ، التصوف ،ايجابياته وسلبياته، مرجع سابق ، ص ٧ .
(٢) الشعراني ، شطحات الصوفية [المسمي بالفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح] ضمن كتاب ابو يزيد البسطامي ، تحقيق د / قاسم محمد عباس ، المدي ، ط١ ، الكويت ، د .ت ص ٣٥ .

إنه يمس الدين بدوره مستقطباً ، اما اثراء وعمقاً يصل بالتصوف الى درجة الولاية ، أو تهاوناً وتجرؤاً يصل به الى الزندقة ، ولا غرو اذ التناقض جوهر التصوف ، ومن ثم اعجب به من شاهد وجهه الأول ، وأدانه من لم يجد فيه الا وجهه الأخر ، وما دام التصوف في عرف الصوفية مذاق ، فأكادوا أشبهه بلون من الفاكهة أو طعام شهي يسر الآكلين ولكن آفاته أنه سريع العطب . إن فسد أضر بآكليه أبلغ الضرر .

إذن أثناء دراستنا سنتعرض لموقفين في منتهي الخطورة : **الموقف الأول:** يقبل ظاهرة الشطح بدون فحص وتدقيق وأصحاب هذا الرأي يرون أن أي محاولة تفسير ظاهرة الشطح غير ممكنه باعتبار أنها صادرة عن الوجد وهو تجربة روحية خاصة بصاحبها ، لهذا لا يمكن لأحد فهمها إلا من مر بها . [١]

ويكون هذا الشطح بمثابة علم لا تستطيع العقول فهمه ، فهو أكثر من : أن يحيط به فهم الفهماء أو يدركه عقول العقلاء " [٢]

الموقف الثاني : يري أن كل ما يخالف الشرع يتستر خلف ظاهرة الشطح وأصبحت دعوات الدجل والزندقة والقول بالحلول والاتحاد مباحة بزعم أن ذلك من شطحات الأولياء . وأصحاب هذا الرأي يرون الشطح عطاءات لا واعية لها منطقها الخاص ولغتها ، فهي ألفاظ موهومة يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع. [٣] ويسمون ذلك بالشطح الفاحش (الشطط) .

---

(١) د/ عبدالرحمن بدوي ، شطحات الصوفية ، وكالة المطبوعات ، ط١ ، الكويت ، د. ت. ص ٣٥ .

(٢) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٥٥ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، احياء التراث ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ٤٠٠ ، ص ٤٧٢ .

تلك الموقفين نتج عنهما موقف ثالث وهو الموقف الوسط الذى يري أصحابه من بعض مشايخ الصوفية أن يكون التعبير عن الوجد بالمشاعر وليس بكلمات تندرج تحت ما يسمي بالشطح ، فيقول الجنيد [1]. الوجد انقطاع الأوصاف عن سمات الذات بالسرور أو بأن الوجد انقطاع الأوصاف عند سمة الذات بالحزن "

اتمني أن أكون من أهل الوسط في الوصول الى نتائج صحيحة في هذا الموضوع الشائك ولا أكون مثل ما رأيت الناس قد أكثروا الخوض في معاني الشطح : فواحد قد جعله حجة لباطله ، وآخر قد اعتقد في قائله الكفر والجميع قد غلطوا فيما ذهبوا اليه .

ثانياً : الدراسات السابقة :

لم يكن الاهتمام بظاهرة الشطح مثل الاهتمام بالتصوف الاسلامي على الرغم أنها تشكل جزءً كبيراً من فصوله ومقالاته ، بل يصل الأمر الى أنها تدخل في صميم الحياة الروحانية لدي صوفية الاسلام فنجد أول من حاول الحديث عن هذه الظاهرة هو **السراج الطوسي** في كتابه "**اللمع**" الذى أفرد فيه باباً يتحدث فيه عن معني الشطح ، والرد على من أنكر ذلك ، ويري في تفسير الشطحيات والكلمات التي **ظاهرها مستشنع** ، بأن **باطنها صحيح** مستقيم ، فإن التأويل أو الفهم الخاطئ هو الذى يؤدي الى انكار تلك الأقوال والألفاظ ، وهذا الكتاب حققه ، وقدم له ، وخرج أحاديثه د / عبدالحليم محمود ، و د / طه عبدالباقي سرور ، وصدر عن دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٠ م.

(١) الجنيد السر في أنفاس الصوفية ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

– **والدراسة الثانية** : كانت للإمام الشعراني في كتاب شطحات الصوفية " والمسمي بالفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح "

ويقول الشعراني معرفاً هذا الكتاب : " هذه رسالة وضعتها بمشيئة الله تعالى في تأويل بعض كلمات صدرت من بعض الكمل من العارفين رضي الله عنهم أجمعين ، وأشكل معناها على بعض الفقراء القاصرين ، فأولتها لهم حتي تقبلها عقولهم ، ولا تنفر من طريق العارفين ، فيخسروا مع الخاسرين "

– وهناك دراسة حديثة **للمستشرق هنري كوربان** تحت عنوان شرح الشطحيات لروزبهان البقلي وفيه اهتم هنري كوربان بدراسة مفهوم الشطح .

– وكذلك دراسة **المستشرق لويس ماسينيون** في كتابه عن المصطلح الفني عند الصوفية المسلمين .

– وأيضاً دراسة **د / عبدالرحمن بدوي** ، شطحات الصوفية ، وكالة المطبوعات ، الكويت د. ت .

ثالثاً : اشكالية البحث :

الاشكالية في هذا الموضوع متداخلة تصل الى حد التناقض ، فإن جماعة التصوف من أهل الكمال ، فكيف لاهل الكمال أن يقع منهم شطحاً ؟ أو كيف للمتمكن من الفاظه ومعانيه أن يقع منه شطحاً ؟ ما علاقة الشطح بالشطط ؟ ما علاقة الشطح بالتأويل ؟ ما دور الشطح في التجربة الصوفية ؟ كيف لنا أن نجد علاقة بين الشطح والوجد ؟ هل الشطح يعني النفاق ؟ هل الشطح هو تطابق بين الذات واللغة ؟ وهل الشطح يعني الغموض ؟

رابعاً : المناهج المستخدمة :

نجد منهج الدارسين لظاهرة الشطح يبدو أحياناً متناقضاً لانهم أحياناً يغلبون الذاتية سواء أكان مع أو ضد ، فنجد **الشيخ الدكتور / عبدالحليم محمود** أثناء دراسته ابو يزيد البسطامي منهجه متذبذب ، فمرة يري البسطامي يتبع ويحكم الكتاب والسنة في كل ما يقول ويفعل وذلك هو الاصل عند البسطامي ، أما ما عداه – الشطح – مما يتنافي معه فإنه غير صحيح . وهنا تركنا الشيخ عبدالحليم محمود في حيرة هل بهذا الكلام ينفي الشطح عن البسطامي ؟ أم اعتراف من الشيخ بعدم تعارض الشطح مع القرآن والسنة ؟

وهذا ما سار عليه الدكتور عبدالحليم محمود من تناقض في المنهج في الحكم على شطحيات البسطامي ،فمرة يقول بأن شطحيات البسطامي من افتراء وحقد الاخرين عليه ، وهم فئة من الناس قلوبهم مريضة ونفوسهم حاقدة . إذن ليست هذه العبارات من نسيج البسطامي .

ومرة يقول بأن **البسطامي** هو القائل لهذه العبارات وهو في حال غلبة السكر ، ومن أراد أن ينقده ، فعليه أن يصل إلى مقامه ويجاهد نفسه كما جاهد ابو يزيد [١].

لهذا سيكون المنهج هو **المنهج التحليلي التركيبي نقدي التاريخي** ، فالمنهج سيكون نابع من آراء الصوفية أنفسهم تجاة ظاهرة الشطح . وبحسب الكلام عن الشطح يبرز لنا المنهج فأهل الصوفية أنفسهم في هذا الموضوع يؤكدون على أن أفضل وسيلة وأصح منهج هو المنهج الذى يجري على ألسنتهم

(١) د / عبدالحليم محمود ، سلطان العارفين (ابو يزيد البسطامي)، مرجع سابق ص ٦٠ .

" وليس لاحد أن يبسط لسانه بالوقيعة في أوليائه ويقيس بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم وما يشكل على فهمه من كلامهم ، لانهم في أوقاتهم متفاوتون وفى أحوالهم متفاضلون [١].

فإن تأويل النصوص لدي الصوفية وتحليلها سوف يرد لاصحابها دون إجتهاد مني في قبول أو رفض ، فحتي صاحب اللمع [٢] يستند في تفسيره لشطحيات بعض الصوفية على تفسير الامام الجنيد ت ٢٩٨ هـ فيقول :" لقد فسر الجنيد شيئاً " قليلاً من شطحات ابي يزيد ، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير ، ومن المحال أن أجد للجنيد تفسيراً لكلامه ، فأدع ذلك وأتكلم من عندي"

كما لابد أن يتصف المنهج في تحليل جمل وعبارات الشطح والشاطحين بالحرص على أن يكون الكلام مجملاً ومفصلاً ، فإن المنهج الذى يعتمد على الاجمال دون التفصيل فهو منهج قاصر ، بل يصل في بعض الأحيان الى التربص بغرض الطعن والانكار ولان المجمل ربما يكون له مقدمات لم تبلغ المستمع ، والمفصل يكون مشروحاً مبيناً محترزاً ، والمجمل لا يكون كذلك .

خامساً : خطة البحث :

يحتوي البحث على مقدمة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع ومبحثين :

المبحث الأول : مفهوم الشطح في اللغة والاصطلاح

ويتكون من مطلبين :-

المطلب الأول : مفهوم الشطح ومعانيه .

المطلب الثاني : مفهوم الوجد وعلاقته بالشطح .

---

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٥٤ .

(٢) مصدر سابق ص ٤٥٩ .

المبحث الثاني : المعني المرفوض للشطح وعلاقته بالشطط .

ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : الخلط بين الشطح والشطط .

المطلب الثاني : تطور مصطلح الشطح عند الصوفية .

أسأل الله التوفيق والسداد والعون .

قال تعالى : " **أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** " [يوسف ٥٢] .

المبحث الأول

مفهوم الشطح في الاصطلاح واللغة

المطلب الأول : مفهوم الشطح ومعانيه :

شطح ، بالكسر وتشديد الطاء ، من المصطلحات التي لم يتعرض لها أكثر أئمة اللغة ، واشتهر بين الصوفية بالشطحات ، وهي في اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الحق تعالى عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق ، كقول بعضهم : أنا الحق ، وليس في الجبة إلا الله ، ونحو ذلك فلفظ الشطح لم يظهر في كتب اللغة كأنها عامية ، وتستعمل في اصطلاح التصوف [١].

فإن الشطح عبارة عن وصف ما يبدو في القلب من الأنوار والفضائل[٢] وهذا الوصف كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض من معدنه مقرون بالدعوى ، إلا أن يكون صاحبه مستلباً ومحفوظاً ، والشطح في لغة العرب ، الحركة [٣]. يقال : شطح يشطح إذا تحرك . ويقال للبيت الذى تحرك فيه الدقيق : مشطاح . فإن الحركة هنا هي حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم فعبروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها ؛ فمفتون هالك بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها ،

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ح ٦ ، تحقيق د/ مصطفي حجازي ، وزارة الارشاد ، بالكويت، ١٩٦٩ م ، ص ٥٠٧

(٢) السلمي ، رسالة في غلطات الصوفية ، مصدر سابق ص ٤٧٩ .

(٣) القشيري ، اربع رسائل في التصوف ، تحقيق د/ قاسم السامرائي (كتاب عبارات الصوفية ومعانيها) مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٩ م ص ٤٨ .

وسالم ناجٍ برفع الإنكار عنها والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عمن يعلم علمها [١].

وهذه الحركة دفعت البعض ليعرف الشطح : بأنه عبارة عن كلام غير متزن بدون التفات أو مبالاة ، كما هو حال بعض الناس في وقت غلبة الحال أو السكر ، فلا يقبل كلامهم ولا يُرد ولا يؤخذ منهم ولا يؤخذون عليه ، وعلة عدم الرد هو كون هذا الكلام صادراً من رجال هم أهل معرفة فلعل لهم معني لم ينكشف للأخرين [٢].

لهذا عرف ابن عربي الشطح بأنه عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوي وهي نادرة أن توجد من المحققين [٣].

فالأغلبية من العلماء لم يفرقوا بين **التعريف القاموسي** – الاصطلاحي– **والتعريف الاشتراطي** للشطح وهنا يكمن الخطأ ويكاد يكون الجرجاني (ت ٨١٦هـ) الوحيد الذى تنبه لذلك فحاول أن يجمع بين التعريفين ، فلا يجب لنا ان نعرف الشطح تعريفاً قاموسياً ، بل نعني به أو نعرفه من خلال التعريف الاشتراطي . وإذا كان التعريف القاموسي يأخذ بالتعريف المصطلح بين الناس ، فإن التعريف الاشتراطي ، يشترط تعريفاً معيناً ، للفظ معين . ولذلك يجب أن لا نجادل صاحب التعريف الاشتراطي في تعريفه ، لان المجادلة لا تكون الا بالنسبة للاحكام التقديرية التي تصف الواقع كما هو . اما صاحب التعريف الاشتراطي ، فهو يضع شروطاً معينة ، وكل ما نطالبه به هو ان يحافظ علي

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٥٣ .
(٢) التهانوي ، مختصر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم د/ سحر سامي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ص ١٦٧ .
(٣) ابن عربي ، كتاب اصطلاح الصوفية ، مصدر سابق ص ٤٠٨ .

هذه الشروط في مقاله . مثال ذلك الصوفي الشاطح ، حين يبدأ بتحديد كلمات ورموز معينة ينوي استعمالها ، ويشترط علينا أن نفهم هذه الكلمات والرموز بالمعاني التي حددها لنا . هذا **الصوفي** ، لا يستطيع أن يفسر لنا عبارة الا في حدود هذه الشروط .

فكلمة **الشطح** توضح مكانة وحال قائلها عند الله سبحانه وتعالى ، فإن أفصح عنها دون اذن أو أمر إلهي ، تكون زلة ، وابن عربي يستشهد بالحسن البصري ت ١١٠ هـ ، فكان لا يتكلم في مثل هذه الاسرار ويفصح عنها على الملأ بل كان يغلق عليه بابه على أهل الذوق ومنهم **مالك بن دينار** ت ١٣١هـ، ويتحدث معهم دون الناس في هذا الفن ، فلولا وجوب كتمه ما فعل هذا [١].

ولولا غلبة وجده ، ما صح له بالافصاح ، فمن ضعف وجده تواجد ، والتواجد ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره ، ومن قوي تمكن فسكن [٢]. **فقال البسطامي** : " ما وجد الواجدون شيئاً من الحضور إلا كانوا غائبين في حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم في حضورهم "[٣] وبناءً على ذلك يقدم **الجرجاني** تعريفاً للشطح يجمع بين كل هذه التصورات ، فيقول :" الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوي ، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب ، وهو من زلات المحققين ، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف ، لكن من غير إذن إلهي ، بطريق يشعر بالنباهة [٤].

(١) ابن عربي ، كتاب الفناء في المشاهدة ، مصدر سابق ، ص ١٨ .
(٢) الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق أرثر جون اربري ، الناشر بمكتبة الخانجي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٨٢ .
(٣) ابو نعيم الأصفهاني ، حلية ، الأولياء ، ج ١٠ ، مصدر سابق ،ص ٣٩ .
(٤) الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق د . عبدالمنعم الحفني ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩١م، ص ١٧٥ .

فإن المريد الواجد مثل النهر فإن الماء الكثير إذا جري في نهر ضيق فيفيض من حافتيه يقال شطح الماء في النهر! فكذلك المريد الواجد : إذا قوي وجده ، ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، شطح ذلك على لسانه ، فيترجم عنها بعبارة مستغربة على فهوم سامعيها ؛ إلا من كان من أهلها ، ويكون متبحراً في علمها ، فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح : شطحاً [١].

فهناك علاقة قوية بين الشطح والوجد ، فإذا إمتلاء المريد وجداً ، خرجت منه بعض الالفاظ شطحاً ، ناديت : يا أنا فلم اسمع اجابة فخفت من الطرد فقلت : يا أنا لما لا تجيبني [٢].

المطلب الثاني : مفهوم الوجد وعلاقته بالشطح :

إن الوجد من المحددات الأساسية التي يقوم عليها الشطح ، ولغرض معرفة علاقة الوجد بالشطح لابد من معرفة الوجد . فإن الوجد هو لهيب يتأجج من شهود عارض مقلق ، ولهذا قالوا بأن الوجد ما يصادف القلب من الأحوال المفنية له عن الشهود [٣]. فمن أسباب الوجد جذبه حقيقية من جذبات الرب تعالى لعبده ، استفاقت لها روحه من منامها . وحَيِيَت بعد مماتها واستنارت بها بعد ظلماتها . فالوجد خلعة هذه الجَذبة [٤] .

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٥٤ .
(٢) ابن عربي ، كتاب الياء ، مصدر سابق ، ص ١١٣ .
(٣) القاشاني ، لطائف الاعلام ، مصدر سابق ص ٨١ .
(٤) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج ٢ ، دار التقوي ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٦٧ .

يقول الكتاني ت ٣٢٢ هـ إن الله يحي القلوب الميتة بتجليه لها ؛ فيفيده علماً بالذات من نسبة الإثبات ، لم تكن عنده فلا ينكر في أي صورة ظهر فيقر في غيبته بحضوره بغيبيته ، ولذلك ناداه مع حرف خطابه ومواجهته فيا من غاب انت الذى حضر . ويشهد قيامه به الذى هو فان عنه بشهوته في هذا الحال ،التي هو فيها عين هويته مشهودة فهو الشاهد ، والمشهود . وهو الموجود والمفقود كل ذلك لعلمه في هذا الحال ولا يحار بل يثبت ، ولا يحيل بل يوجب ، ولا ينكر بل يقر [١].

وهنا إذا تحدث وعبر ، فحديثه ناقص عاجز ، فيسمي شطحاً ، فإن الوجد هو مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان قد فقده [٢]. والوجد يمر بثلاث خطوات بثلاث معان : وجد ، ووجود ، وتواجد ، فالوجد : مصادفة الغيب بالغيب . والوجود : تمام وجد الواجد وهو اتم والتواجد : البقاء على حركة الوجد . والحركة في الوجد : حركة نفسية وحركة عجزية وحركة وجدية . فالحركة النفسية من وجد الهوي ، والحركة الوجدية : من جدة العهد ، والحركة العجزية من عجز البشرية . والتواجد : استفعال الوجد [وهو ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد .. وتكلفة التشبه بالصادقين] من أهل الوجد. والتواجد يمثل الشطح المرفوض أو الفاحش بتعبير الصوفية أو الشطط كما عرفه القرآن الكريم. وبذلك يكون الشطح الاصيل يصدر عن وارد حقيقي .

(١) ابن عربي ، نتائج الاذكار ، مصدر سابق ، ص ٨١ .
(٢) القشيري ، اربع رسائل في التصوف ، [كتاب عبارات الصوفية ومعانيها] ، مصدر سابق ص ٥٩ .

فإن التواجد استدعاء الوجد ، كالتباكي ، أي استحضار الوجد بالتكلف ، أما الوجود فمن الوجد وهو فناء البشرية عند غلبة سلطان الحقيقة [١]. فإن الواجد قد يصادف قلبه فزع أو غم أو رؤية معني من أحوال الأخرة ، أو كشف حالة بين العبد وربه . فإن الوجد لهيب ينشأ في الاسرار ويسنح عن الشوق ، فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد [٢].

وبذلك يكون الوجد بمعني الوجدان للشئ ، والوجود له . فهو كل ما يرد على النفس وتجده في ذاتها ، فكل ما يصادف القلب من الأحوال التي تغيب عن شهوده [٣].

فالوجد حال ينتهي بالشطح وتبقي آثاره وهو المعرفة فإن الوجد مقرون بالزوال ، والمعرفة ثابتة لا تزول . فإن الإخبار بالوجد فقد الوجد ، أي أن حال الواجد ينتهي عندما يشطح أو يتحدث . قال ابن عطاء (ت ٧٠٩ هـ) : " متي ذكرت فالوجد منك بعيد . فإن الوجد وجد ما حجب ، فإذا كشف يذهب ، وقال النوري (ت ٢٩٥ هـ) : الوجد فقد الوجد بالموجود .

كتمت الذى ألقي من الوجد في الحشا وقد كنت في كتمان ذاك مصيب [٤]

إذن هذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو ، فغوره بعيد ، والتلف فيه قريب فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا بإمتداد الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال أنا : **من أهوي ومن أهوي أنا** لان مدلول (أنا) خلاف مدلول (هو) فلهذا نستره ونكتمه . وتصبح عبارات مثل : " **أنا هو**" صادرة من غير متحقق بمعناها ؛

(١) د / حسن محمد الشرقاوي ، ألفاظ الصوفية ومعانيها ، دار المعرفة الجامعية ، ط٢ ، الاسكندرية ١٩٩٨ م ، ص ٣٣ .
(٢) الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ص ٨٢ .
(٣) ابن عربي ، اصطلاح الصوفية ، مصدر سابق ص ٤٠٩ .
(٤) الجنيد ، السر في أنفاس الصوفية ، مصدر سابق ص ٢٢٤ .

فهما شيئان ،فصاحب هذا القول لا يدري ما يقول ، فهو داخل الفخ ، وهو يظن أنه خارجه " [١] .

نستخلص من ذلك أن الشطح بدون وجد حقيقي فهو شطط وتطرف ومغالاة ، فإن الوجد تحليل نفسي دقيق لجيشان الروح عند الصوفية وتوضيح صريح للأساس الذى يقوم عليه الوعي الروحي ، وهو ثورة الباطن ، فإذا اعتبرنا هذا الباطن شطحاً فهو عند الصوفية وعي . وحقيقة ، ذلك الكم المشترك بين جميع الصوفية . فكيف لنا أن نطلب من الشاطح أن يقيس خطورة شطحه ؟! فهو في حال الوجد التي تعجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتي لو قطع عضو من اعضائه لا يحس ولا يشعر [٢]. فلقد هبت عليه نسيم الحبيب لقوله تعالى : " **إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** " [يوسف ٩٤] .

ويسمي ابن عربي هذه الحالة **بحال المراد** وفيه يكون الشاطح مجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور ، فهو يجاوز الرسوم والمقاومات من غير مشقة بل بالإلتذاذ وحلاوة وطيب تهون عليه الصعاب وشدائد الأمور . فعلى الرغم من تعرضه للأمور الصعبة وتحل به البلايا المحسوسة والنفسية ويحس بما يكره ذلك الطبع منه غير أنه يري ويشاهد ماله ذلك في باطن الأمور عند الله من الخير [٣].

فإذا زال الوجد بالشطح فإن أثره يورث الشاطح حلاوة وسكينة ، وأنساً في نفسه وأنساً للقلوب به ، وهوي الافئدة اليه .

---

(١) الشعراني ، شطحات الصوفية ، مصدر سابق ص ١٢٢ .

(٢) الغزالي ، مكاشفة القلوب ، مكتبة الزهراء ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٩ .

(٣) ابن عربي ، الفتوحات الملكية ، الباب السابع والعشرين ومائتين ، (باب حال المراد) ، ص ١٠٠ .

المبحث الثاني

المعني المرفوض للشطح وعلاقته بالشطط

المطلب الأول : الخلط بين الشطح والشطط :

الخلط بين مفهوم الشطح والشطط من الأمور المغلوطة ، فإن الشطط بفتحتين مجاوزة القدر في كل شئ ففي الحديث : " لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط " ، أى لا نقصان ولا زيادة (١).

وعرفت كلمة الشطط بالظلم والبعد عن الحق (٢). ركب فلان الشطط تجاوز الحد المعقول . ويظهر ذلك في قول تعالى : " **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** " [الكهف-١٤] . أي قولاً ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً (٣).

ويظهر مفهوم الشطط أيضاً في قوله تعالى : " **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** " [الجن -٤] ومعني الشطط هنا غلو في الكذب والضلال ، فصاحب ذلك سفيه جاهل. فنلاحظ ان كلمة شطط ارتبطت بالالحاد والضلال ، وذلك يخالف تماماً مفهوم الشطح ، فتأكد الآيات القرآنية الحكيمة معني الشطط بأن

(١) الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، ص ١١٤٥ .

(٢) محمد طاهر الصديقي ، مجمع بحار الانوار في غريب التنزيل ، ج٣ ، دائرة المعارف العثمانية ، ط١ ، حيدر اباد ، ١٩٦٧م ، ص ٢٢٥ .

(٣) السيوطي ، تفسير الجلالين الميسر ، حقق وعلق عليه د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص ٥٨٢ .

يذكر الانسان أو يتحدث بحديث اللسان دون أن يرسخ هذا الحديث في قلبه ، فكأنه قد افتري : لان الافتراء : هو الكذب ، والكذب : هو النفاق ، وهو أن تقول بلسانك بخلاف ما يكون في قلبك ، فإذا قلت : الله أكبر فقد ذكرت الله بلسانك ، فإن كان في قلبك شئ أكبر وأعظم من الله ، فكان ذكرك لله افتراء على الله ، قال الله تعالى :" **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** " [العنكبوت-٤٥] .

وهنا يدعي البعض أن أصحاب الشطط إذا أنكروا الألوهية فإن الشاطحين إدعوا الألوهية وأقروا بالإتحاد صراحة في ألفاظهم . فهذا قول مغلوط، فإن الشاطح إذا ذكر الفاظ تعني الحلول والإتحاد مثل "**هو أنا**" "**وسبحاني**" ! وغير ذلك ، فلهذا معناه أن القائل يري نفسه محقاً فيما غلب على قلبه : من تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، والواجد إذا كان وقته كذلك ؛ فإذا قال : أنا ، يعبر عن وجده ويترجم عن الحال الذى قد استولى على سره ، فإذا قال : أنا ، يشير بذلك الى ما غلب عليه من حقيقة صفة مشاهدته قرب سيدة [١]. فإن الله ليس بمحجوب عن الخلق ولكن رأي من نظر . وسئل ابو يزيد : هل رأيت ربك؟ فقال : لو حجبت عنه لحظة لمت . وسئل على بن ابي طالب رضي الله عنه : تعبد من تري أو من لا تري ؟ فقال : اعبد من أري لا رؤية عين ولكن رؤية القلب بمشاهدة الايمان [٢].

بل يري الصوفي الله حاضراً في كل عباداته ، فأمر الاستحضار مقبول لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – :" **اعبد الله كانه تراه** " فأمره بالاستحضار ، فإنه يعلم أنه لا يستحضر الا من يقبل الحضور . فاستحضار

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٧٨ .
(٢) الجنيد ، السر في انفاس الصوفية ، مصدر سابق ص ٢١١ .

العبد ربه في العبادة عين حضور المعبود له [١] كما أن عبادة الله بالغيب عين عبادته بالشهادة . وهذا سبب قول بعض الصوفية " أنا هو، وسبحاني سبحاني ! " فإن الانسان وكل عابد لا يصح ان يعبد معبوده الا عن شهود إما بعقل ، أو ببصر ، أو بصيرة . يشهده العابد بها فيعبده ، والا فلا تصح له عبادة فما عبد إلا مشهوداً لا غائباً . فإن اعلمه بتجليه في الصور للصبر حتي يميز عبده أيضاً على الشهود البصري ، ولا يكون ذلك الا بعد ان يراه بعين بصيرته . فمن جمع بين البصيرة والبصر فقد كملت عبادته ظاهراً وباطناً .

فإن الرجل – ابو يزيد – مستهلك في شهود الإجلال ، فنطق بما استهلكه ، لذهوله في الحق عند رؤيته أياه ، فلم يشهد إلا الحق تعالى ، فنعته فنطق به . ولم يكن من علم ما سواه ، ولا من التعبير عنه ظناً من الحق به ! ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه فقال : ليلي ، فنطق بنفسه ولم يكن من شهود إياه فيه [٢].

فإن الشاطح يغيب عن تمييز الاشياء ولا يغيب عن الاشياء ، وهو لا يستطيع أن يميز بين مرافقه وملاذه وبين اضدادها في مرافقة الحق فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه [٣]. عكسه تماماً الشاطط ، فبداخله فضاء ، فلا تحمل ألفاظه غايات وأهداف إيمانية ،فهو شخص تمتلك الشهوات والنزوات أوقاته وأحواله ، فكيف لنا لا نفرق بين قول فرعون : " **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** " وقول ابو اليزيد البسطامي : " سبحاني ! سبحاني ! فإننا لا نشك في ان الأول : كافر يدعي الألوهية ، والثاني : لم نشك بأنه يسبح الله تعالى ،

(١) ابن عربي ، مفاتيح خزائن الجود ، مصدر سابق ، ص ٤٨٦ .
(٢) د/ عبدالحليم محمود ، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ، مرجع سابق ص ٦١ .
(٣) الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ص ٨٦ .

ويصفه بما وصف به نفسه . فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد ، والعبادة ، والعلم ، والمعرفة : من أعظم المحُالات . فكيف لرجل لا يستند قط إلى جدار الا أن يكون جدار مسجد ، ولا يكون مفطراً قط الا أيام العيد ، وظل على ذلك حتي لحق بالله عز وجل ، ونظن به الظنون والاخبار السيئة . كما أننا لو سمعنا رجلاً يقول : **لا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي** ، ما كان يختلج في قلوبنا شئ غير أن نعلم: أنه هو ذا يقرأ القرآن ، أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه [١].

فهناك فرق بين ما يغيب بوارد قوي ، فيكون كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء [٢]، فيحدث طرب للروح وهيام للقلب. [٣] وبين ما يغيب عقله وقلبه الشيطان ، فيظهر كلامه وكأنه خواطر شيطانية ووخذ شيطاني أو تصنع منافق خبيث .

إذن الشطط قول يحمل معاني شنيعة تخالف العقول والسنن الكونية ، فلا تعبر عن وجد سليم ولا حتي أمور واقعة ، أي أن الشطط يظهر في اللغة نتيجة عدم رجوعه إلى باطن سليم أو وجد حقيقي ، فالشطط قول يخالف الظاهر والباطن ، فهو الجهل بوصف القرآن ، وتجاوز الحق والحقيقة .

فإن الشاطح لا يسمع إلا عند الوجد [٤]. أما الشاطط فلا يسمع الا نفسه والشيطان . إذن الادعاء بأن الألفاظ التي تقع من الشاطح مثل : " أنا أنا وهو هو وسبحاني سبحاني " دعوة للاتحاد وأن هناك علاقة قوية بين الشطح والاتحاد

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ص ٤٧٢ .
(٢) ابن عربي ، اصطلاح الصوفية ، مصدر سابق ، ص ٤١٠ .
(٣) القاشاني ، لطائف الاعلام ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .
(٤) الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق . ص ١٢٧

كما يقول **بعض الباحثين**[١] من أن العناصر الضرورية لوجود ظاهرة الشطح هي : أولاً : شدة الوجد ؛ وثانياً : ان تكون التجربة تجربة اتحاد ؛ وثالثاً : أن يكون الصوفي في حال سكر ؛ ورابعاً : ان يسمع في داخل نفسه هاتفاً الهياً يدعوه الى الاتحاد ، فيستبدل دوره بدوره . فإن **د. عبدالرحمن بدوي** يجعل من الشاطح على عتبة الاتحاد بسبب شطحاته ، وهذا قول مغلوط ، فالهوية الجوهرية مختلفة تماماً بين المعبود والعابد ، فإذا كان الشاطح يتلفظ بصيغة المتكلم الا أنه يوضح دائماً بين من المتكلم ومن المخاطب .

فهل نطق أحد من الشاطحين بأن وجود ذات الله ، خالق السماوات والارض ، هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور أن يكون الله تعالى خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ؟ ! . بالتأكيد لم ولن نجد هذا المعني في مفهوم الشطح عند الصوفية المعتدلين ، وإذا حاولنا أن نجد علاقة بين الشطح والاتحاد ، لوجدنا في ذلك تضيق لمعني الشطح الحقيقي لا مبرر له سوي التصنع ، واستخراج معاني غير حقيقية ، حمل **النوري** [٢] مرة إلى الخليفة وشهدوا عليه بأنه قال : " كنت البارحة في بيتي مع الله " فسئل عن ذلك ؟ فقال : صدق ! وانا الساعة مع الله ، وإذا كنت في البيت فأنا مع الله ، وإذا كنت في برية فأنا مع الله ، ومن كان في الدنيا مع الله فهو في الاخرة مع الله ! اليس يقول الله جل ذكره : "**رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ** " [ص-٣٣]

(١) أبو يزيد البسطامي ، المجموعة الصوفية الكاملة ، تحقيق د / قاسم محمد عباس ، مصدر سابق ، ص ٧٥ . وكذلك د. عبدالرحمن بدوي ، شطحات الصوفية ، مرجع سابق ، ص ٥

(٢) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ٤٩٣

فالقول بالاتحاد عنواناً للشطح دعوة مغلوطة يرفضها العقل ، فإذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد فهما ذاتان وإن عدمت العين الواحدة وبقيت الأخري فليس للأول حد فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد فيظهر العدد فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ويكون الدليل مخالفاً للحس فيكون له وجهاً كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً وبالدليل أن الله خالقها وأنها أثر القدرة القديمة لا المحدثة [١]. فإن لكون أثر في عين المشاهد فإذا فني ما لم يكن وهو فان ويبقي من لم يزل وهو باق حينئذ تطلع شمس البرهان لإدراك العيان فيقع التنزه المطلق المحقق في الجمال المطلق ، وذلك عين الجمع والوجود ومقام السكون والجمود فتري العدد واحداً لكن له سير في المراتب فيظهر بسيره أعيان الاعداد ومن هذا المقام زل القائل بالاتحاد [٢].

فإن الشاطح يعلم تماماً أن الاتحاد تبطله الاستحالة ، لانه يستحيل أن يشاكل القديم المحدث أو يساويه أو يقترن به ، لان الحلول والاتحاد لا يكون إلا بين الأشكال .

فكما يقول الحلاج [٣] : " الحق تعالى أوجد الهياكل على رسم العلل منوطة بالآفات فانية في الحقيقة ، وانما الأرواح فيها الى أجل معدود ، وقهرها بالموت وربطها في وقت إتمامها بالعجز وصفاته تعالى بائنة عن هذه الأوصاف من كل الوجوه : فكيف يجوز أن يظهر الحق فيما أوجده بهذا النقص والعلة ؟ كلا وحاشا " .

(١) ابن عربي ، كتاب المسائل ، مصدر سابق ص ٣١٧ .
(٢) ابن عربي ، كتاب الفناء في المشاهدة ، مصدر سابق ص ١٧ .
(٣) السلمي ، رسالة في غلطات الصوفية ، مصدر سابق ص ٤٨١ .

المطلب الثاني: تطور مصطلح الشطح عند الصوفية:

تطور مصطلح الشطح يعطينا دليلاً علي قبول تأويل هذه الشطحيات ،وينقسم الى ثلاثة مراحل ، أما **المرحلة الاولى** : تمثل مرحلة البدايات ، فإن بداية مصطلح الشطح ظهر في مجموعة من الالفاظ والمعاني التي تدعو إلى النفور من الحسيات والماديات وهذه البدايات كانت عند رابعة العدوية ت ١٨٥ هـ وهي صاحبة الريادة في هذا الحال ، **فقد ضرب رأسها بركن جدار فأدماها ، وهي ضاحكة مسرورة.** فقيل لها في ذلك . فقالت : شغلني بموافقة مراده تعالي فيما جرى شغلني عن الاحساس بما ترون من شاهد الحال. (١)

وهذه المعاني تعبر عن حالة وجدية حقيقية ، دون الاستغراق في كلمات تظهر فيها صيغة المتكلم . فالكلمات التي وردت الينا عنها مما يندرج في باب الشطح لا تعد من الشطح إلا في معناه ؛ أما في صورته – اعني التحدث عن الله بضمير المتكلم – فليس لدينا من نوعه شيء .

أما المرحلة الثانية ، وهي مرحلة النضوج ، وفي هذه المرحلة يعبر الشطح عن باطن ووجدان حقيقي يظهر في صورة ألفاظ وكلمات بصيغة المتكلم ، وأول صورة لهذه المرحلة تظهر بوضوح عند ابي يزيد البسطامي ، ثم يفصل الحلاج القول فيها ، ويحللها تحليلاً نفسياً موغلاً في العمق ؛ وكان الشبلي يسير علي نفس الطريق . وفي تلك المرحلتين كان الصوفية ينطقون بالكلمات الشطحية في غير تحرج وتحرر كامل والسبب أن المعرفة تصدر عن الشطح ، والشطحات انما تصدر من أهل المعرفة . فإن علامة العارف ، أول دخوله في المعرفة ، الشطح ؛ ومن لم يبلغ مرتبة الشطح لا يصح ان يسلك في عداد العارفين

(١) **ابن عربي ، نتائج الأذكار في المقربين والابرار ، مصدر سابق ، ص٩٩**

بالمعني الصحيح . فإن حال أبي يزيد قل من يفهمها عنه أو يعبر عنها عند استماعها ؛ لانه لا يحتمله الا من عرف معناه وأدرك مستقاه . (١)

لقد فض له عن السر الأكبر ، فلم يقو على حمل هذه الامانة العظمي في باطنه ، ففاض لسانه بالترجمة عنها حتي يكون في هذا تصريف لما انطوت عليه من شحنه هائلة ، فينطق مترجماً عما طاف به متخذاً صيغة المتكلم وكأن الحق هو الذي ينطق بلسانه . أما الشطحة نفسها فتمتاز بعدة خصائص : منها أنها بصيغة ضمير المتكلم ، وان كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار ؛ وانها تبدو غريبة في ظاهرها ، لكنها صحيحة في باطنها .

وهنا لو قال البسطامي بعض شطحاته سنجدها مفهومه دون تأويل ، فيقول : " غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري اياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتي كأنه انا"(٢) . فلقد ربط بين المعرفة والتوحيد ، ذلك أن المعرفة بالمعني العالي الدقيق هي التوحيد؛ والمرء لا يبلغ منزلة التوحيد الا في حال الوجد وما يتلوها ، والوجد يقتضي بالضرورة الشطح ؛ فالشطح إذن مرحلة ضرورية في طريق التوحيد ، أعني في تحقيق المعرفة وبالتالى في تكوين صفة العارف السالك .

فإن الغفلة ولو للحظة عند البسطامي تعني فقدان للمعرفة : " فإن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٥٩ .
(٢) الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ١٠ ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

أهل النار بالخروج من النار " [١] . فإن البسطامي هنا يعني بالرؤية المحبة من الله التي تطرد عنه الغفلة ، فيتحقق شطحه ويصبح تمكن وليس غفلة وسكر .

فإن البسطامي في معية الحق : " إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " [سورة النساء– ١] ويصف ذلك يوسف بن الحسين قائلاً : " كنت عند ذي النون فجاءه رجل فقال له :" رأيت أبي يزيد ؟ فقلت له : أنت أبا يزيد ، فقال : ومن أبو يزيد ؟ يا ليتني رأيت أبي يزيد .. فبكي ذو النون وقال : ان أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله ، فصار يطلبها مع الطالبين " [٢]

فلا تفتح أبواب المعرفة الا للمحب الفاني عن كل شئ من الحسيات . وهذه المعرفة الحقة هي مفتاح التوحيد ، ولا يتحقق كل ذلك الا بالشطح ، فإن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ، ويكون حاضراً بقلبه مراقباً لخواطره ؛ فكل خاطر يخطر بقلبه فكأن الحق يخاطبه بذلك ، وكل شئ يتفكر بسره فكأنه يخاطب الله تعالى به ، فكلمات : قال لى ، وقلت له ، دليل يشير الى مناجاة الاسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار .[٣] فإن معني وجود الله هو اثبات التوحيد له في ذاته وفى صفاته وأفعاله والطالب له تعالى بنفسه لا يصح له هذا التوحيد ، فإن الاكتساب وإن أضيف له فهو مجاز فإنه لا يصح أن يطلب الله ويجده إلا الذى يطلب معرفته تعالى بفعله لأن طلب العبد الله تعالى إنما هو فعل من أفعال الله . [٤]

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٥ .
(٢) د. عبدالحليم محمود ، سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي ، مرجع سابق ، ص ٦١ .
(٣) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٦٢ .
(٤) ابن عربي ، رسالة الانتصار ، مصدر سابق ، ص ٢٦٦ .

وهذا تفسير لقول **البسطامي** : رفعني مرة فأقامني بين يديه ، وقال لى: يا أبا يزيد ، إن خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك ، وألبسني أنانيتك ، وارفعني الى أحديتك ، حتي إذا رأني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا " [١] فإن الحضور هنا حضور قلبي ، فكل الخلق بين يدي الله تعالى ، لا يذهب عليه منهم نفس ولا خاطر ، كما أن القرب ليس قرب مكاني وانما محبة ومعرفة وتوحيداً للخالق سبحانه وتعالى . " **فإنه مقارب ، وليس المقارب للمكان بكائن فيه على الإمكان والاستمكان**" [٢]

فعن طريق عبارات وألفاظ الشطح التي تعبر عن حقيقة ومعرفة تتكون في ذات الشاطح ، فيعبر عنها دون أن يكون هو الفاعل الذى تصدر عنه. فمن يقول : " **أنا الحق**" في ذات الحلاج ليس الحلاج : انما يقولها الحلاج إذ ينطق بها من اجل الحق سبحانه وتعالى ، فيقول الحلاج :

" **رأيت ربي بعين قلبي فقلت : من أنت ؟ قال : أنت !** " [٣]

فإذا قال لك : خذ فقل : أنت وإذا قال لك : ارجع فقل منك اليك وإذا قال لك : كيف أقول لك خذ فنقول : أنت وأنا لا أتخذ فقل له : وكذلك أنا على الحقيقة لا آخذ فإن الاخذ فعل ولا فعل لي وأنت الآخذ إذا أنت الفاعل . [٤]

---

(١) الطوسي ، اللمع ، مصدر سابق ، ص ٤٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٦١ .

(٣) الحلاج ، الديوان ، ضمن كتاب الحلاج ، د. مصطفي غالب ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٢٦ .

(٤) ابن عربي ، كتاب الفناء في المشاهدة ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .

ولا يصل الى هذه الخطوة الا المستبين العارف ، وهنا تؤكد على أن الشطح في هذه المرحلة لم يكن غيباً وسكراً وإنما كان معرفة ، فالبوح بهذه الشطحات لم يكن جبراً وقسراً ، بل دليل إجازة وعبور للعارف إلى الله سبحانه وتعالى ، وليس كما يقول ابن خلدون : " انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم ، حتي ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور" (١)

يدعي أيضاً د/ بدوي أن الصوفية قبل الحلاج كانوا ينطقون بالكلمات الشطحية في غير تحرج ولا تحرر ، لانه لم يكن للسلطان الخارجي بعد تأثير عليهم ، اما منذ قضية الحلاج فقد بدأ الصوفية يتبينون ما يترتب على أقوالهم من نتائج عملية لابد لمن يؤثر العافية منهم أن يحسب لها ألف حساب .

والسؤال هنا ، هل وازع السلطان لم يكن موجوداً قبل الحلاج ؟ السلطان موجود في كل وقت . فإن الحلاج يمثل انتهاء المرحلة الثانية .ومن خصائص هذه المرحلة هو الافصاح لتأكيد معرفة العارف وليس إجباراً كما يقول ابن خلدون أو خوفاً من سلطان كما يقول دكتور عبد الرحمن بدوي ، فإن قاضي المالكية أبوالعباس بن سريج يقول في حق الحلاج : "ما أراه إلا حافظاً القرآن عالماً به ماهراً في الفقه عالماً بالحديث والاخبار والسنن ، صائماً الدهر قائماً الليل ، يعظ ويبكي ويتكلم بكلام لا افهمه فلا احكم بكفره. (٢)

وأما المرحلة الثالثة : وهذه المرحلة هي المرحلة التي ظهر فيها الزام الصمت للشاطح ولا يتحدث بدون إذن إلهي حتي لا يدخل الشاطح العارف تحت مظلة الشاطح الفاحش . وغلب عليها التصنع ، فإن الشاطح المتصنع هو الشاطح

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، مصدر سابق ، ٤٧٢ .
(٢) د / احمد محمود صبحي ، التصوف إيجابياته وسلبياته ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

الفاحش الذى لا يمتلك معرفة حقيقية ، ولذلك تظهر شطحاته خالية من المعرفة والمعاني الحقيقية وعلى عدم الاخلاص في صدورها عنهم ، فبعد الحلاج انحدر الشطح أو دخل عليه الفاظ تخرج عن الملة .

وفى هذه المرحلة أصبح للشطح أكثر من تأويل ، ولا يكون التأويل لصحة عبارة الشاطح ، وإنما اهتم التأويل بمجال الشاطح فقط ، فإذا كان الشطح في حال الصحو فهو من الشيطان ، وإن كان في الغيبة فلا يقوم له حكم . وكان الرأي السائد هو الاعتذار عما يصدر عن صوفية هذه المرحلة من شطح ." فلا تروي ولا تؤدي ، وإن أمكن التجاوز عما أثاره هؤلاء الصوفية " [١]

فيأتي **الغزالى(**ت ٥٠٥ هـ**)** [٢] بعد الحلاج بحوالي قرنين من الزمن ويري الشطح التباس يقع فيه الشاطح ، وكذلك **الشعراني** [٣] يري أن صاحب الشطح داخل في الفخ ، فيؤكدان على أن قضية الشطح بعد الحلاج يجب أن تطرح على اعتبار معيار التفرقة بين صدورها في حال صحو فتكون من الشيطان أو في حال غيبة لا يقام لها حكم ، فإن الصوفي في حال الشطح فاقد الوعي فما أدراه إن ما أرتاه لمسة من الملك لا من الشيطان ، وأنها إلهام وليست وسواساً ، وهنا يشير الغزالى الى ما يقع للصوفية من غرور إذ يلتفت الصوفي الى ذاته بعد اشراق نور الله عليه . فيتراءي له جمال قلبه فيسبقه لسانه معبراً عن دهشته.

إذن أريد أن أخلص من ذلك الى أن الشطح المقيد بالشريعة ويتمسك بالمعرفة يمثل المرحلة الأولى والثانية لتطور هذا المصطلح . أما **المرحلة الثالثة** ، فلقد

(١) ابن تيمية ، رسالة الصوفية والفقراء ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .
(٢) الغزالى ، أحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٣٤٧ .
(٣) الشعراني ، شطحات الصوفية ، مصدر سابق ص ١٢٢ .

انفكك الشطح من قيد الشريعة وقيد العقل وتحول الى الشطط بل الى تغيب الدين والعقل في كثير من الاحيان ، لهذا كان الصمت عنوان هذه المرحلة .

فإن القول بأن كل نتائج الإلحاد يجب أن تلحق وتلصق بالشطح ، **قول مغلوط** ، فماذا نقول في غلو ابن هانئ في مدحه **للخليفة المعز** :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فأنت الواحد القهار(١)

اليس هذا كفراً وشططاً يحمل ويمثل الزندقة والإلحاد في أوضح صورة ؟! . فلماذا نلزم النتائج الصادرة عن الشطح بأنها نتائج الحادية ، وكأن الشطح مسئول عن كل الالحاد الموجود هنا وهناك . ولماذا نجد مجرد الاختلاف مع المنهج يعتبر خروج عن الملة، فإن بعض الفقهاء وهم أهل الظاهر يريدون ان يزنوا الشطح بميزان منهجهم ، فهل هذه هي الموضوعية ؟!

فنجد بعض الفقهاء وعلي رأسهم **ابن الجوزي** (٢) الذى جعل الشطح مدخلاً لنقدهم – أصحاب الشطح – بل اخراجهم من الملة ، فينكر على **ذو النون المصري** سلوكه ، وكفر ابو سليمان الداراني ، وأبو يزيد البسطامي ، والتستري حتي الحارث المحاسبي . وكان الشطح باباً ومفتاحاً لانتصار أهل الظاهر على أهل الباطن والوجدان . وكأن من مسلمات الحروب الفكرية استغلال كل الوسائل والأدوات .

(١) ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق د . عبدالهادي ابو ريدة ، القاهرة ، ٢٠١٣م ، ص ١٣ .

(٢) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، د. ت ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

في النهاية تأتي **الخاتمة** التي تحتوي على أهم النتائج التي توصل اليها الباحث حول موضوع " مفهوم الشطح بين القبول والرفض "

١- سبحان الله تتحول الى سبحاني ! سبحاني ! ليس لتمجيد ذات غير ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فإن الله – **حاشاه** – لا يحتاج الى تمجيد أو تنزيه ، فهذه العبارة تنادي بأصل الشريعة وحقيقة التوحيد وهذا عنوان الشطح عند أبو يزيد البسطامي .

٢- الشطح معرفة والشطط إلحاد وجهل ، الشطح يتمسك بقيمة العقل ، فليس رعونة واندفاع وغياب عن الواقع ، بل الشطح متمسك بفاعلية الفعل والشرع ، فعين الشاطح عقله والشمس تمثل الشرع .

٣- الوجد هو امتلاء القلب بالايمان ، فإن الوجد يمثل الصورة الباطنية الحقيقية للشطح ، فالوجد لهيب يؤدي إلى مكاشفة الاسرار إلى مشاهدة المحبوب بعين القلب .

٤- الشطح الحقيقي لا يرجع من الغيبة إلى الخطاب ، وانما يرجع الى الخطاب من الغيبة ، لانه ليس بين المملوك ومالكه الا حجاب ملك النفس المملوك . فإذا عبر عن حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس ، فيقول أبو يزيد : إلهي كيف أجد السبيل اليك ؟ قال له ربه : دع نفسك وتعالى . فأراد ان يغيب عن المحدودت الى موجد المحسوسات والمعدومات وهنا **أبو يزيد** يريد **لباس الحال** وهو مقامه بين يدي الله الذى يورثه عزاً ومهابة . وفى هذا المقام لا يريد ثواب أو عقاب ، وإنما يبقي عليه لباس حاله .

٥- ليست هناك علاقة بين الشطح الحقيقي والاتحاد والحلول ، فإن الشاطح يراعي ظاهره بحسن آداب الشرع والوقوف مع الأوامر بالمبالغة والجد والتباعد عن المناهي ، ويراقب باطنه . لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتي تربع في الهواء فلا تغتروا به حتي تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة هذا هو الشطح والشاطح الحقيقي .

المصادر والمراجع باللغة العربية :

١- الاصفهاني ، حلية الأولياء ، جـ١٠ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م
٢- الطوسي ، اللمع ، تحقيق د/ عبدالحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ، ط١، القاهرة ١٩٦٠م
٣- أحمد مختار عبدالحميد ، معجم اللغة العربية ، جـ٢ ،عالم الكتب، ط١ ، القاهرة ٢٠٠٨م.
٤- السلمي ، رسالة في غلطات الصوفية ، تصحيح د/ عبدالفتاح الفاو محمود ، ضمن كتاب مجموعة آثار السلمي ، مركز مطالعات نشر ، طهران ١٣٨٨هـ.
٥- القاشاني ، لطائف الاعلام ، تحقيق د/ سعيد عبدالفتاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
٦- ماسينيون ومصطفي عبدالرازق ، التصوف والإسلام ، ترجمة د/ إبراهيم خورشيد وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤م.
٧- الزمخشري ،الكشاف ، تحقيق د/ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، ط٣ ، بيروت ، ٢٠٠٩م.
٨- رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، بيروت ،١٩٩٩م.
٩- ابن عربي ، كتاب المسائل ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٠- ابن عربي ، رسالة الانتصار ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.

١١- ابن عربي ، رسالة إلى الأمام الرازي ،ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٢- ابن عربي ، كتاب اصطلاح الصوفية ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٣- ابن عربي ، كتاب الياء ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٤- ابن عربي ، كتاب الفناء في المشاهدة ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٥- ابن عربي ، كتاب نتائج الاذكار ، ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٦- ابن عربي ، الفتوحات المكية ، جـ٣ ، تحقيق د/ عثمان يحيي ، مراجعة د/ ابراهيم مدكور ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
١٧- ابن عربي ، كتاب المسائل ضمن رسائل ابن عربي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
١٨- د/ أحمد محمود صبحي ، التصوف إيجابياته وسلبياته ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
١٩- ابن خلدون ، المقدمة ، احياء التراث ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٥م.
٢٠- عبدالرحمن بدوي ، شطحات الصوفية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٩م .
٢١- د/ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الاسلامي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٣ ، القاهرة ، د.ت.
٢٢- الحلاج ، الديوان ، ضمن كتاب الحلاج ، د/ مصطفي غالب ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٢٣- الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ٣ ، دار الحديث ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٨م.
٢٤- ابن تيمية ، رسالة الصوفية والفقراء ، تحقيق د. محمد جميل غازي ، دار مدني ، القاهرة ، د. ت .
٢٥- الجنيد – السرفي أنفاس الصوفية ، تقديم د/ عبدالباري داود ، تحقيق د/ جودة محمد أبو اليزيد ، دار جوامع الكلم ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ.
٢٦- د/ عبدالكريم الخطيب ، التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، دار الفكر العربي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٠م.
٢٧- الشعراني ، شطحات الصوفية ، ضمن كتاب "أبو يزيد البسطامي " تحقيق د/ قاسم محمد عباس ، دار المدي ، ط١ ، الكويت ، د.ت.
٢٨- الزبيدي ، تاج العروس ، جـ٦ ، تحقيق د/ مصطفي حجازي ، وزارة الارشاد ، بالكويت ، ١٩٦٩م.
٢٩- القشيري ، اربع رسائل في التصوف ، تحقيق د/ قاسم السامرائي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٩م.
٣٠-التهانوي ، مختصر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم د/ سحر سامي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧.
٣١- الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق أرثرجون أربري الناشر مكتبة الخانجي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
٣٢- الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق د/ عبدالمنعم الحفني ، دار الرشاد ، القاهرة ١٩٩١م.
٣٣- ابن القيم ، مدارج السالكين ، جـ٢ ، دار التقوي ، القاهرة ، د.ت.
٣٤- د/ حسن محمد الشرقاوي ، ألفاظ الصوفية ومعانيها ، دار المعرفة الجامعية، ط٢ ، الاسكندرية ، ١٩٩٨م.
٣٥- الغزالي ، مكاشفة القلوب ، مكتبة الزهراء ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

٣٦- د/ محمد طاهر الصديقي ، مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ، ج٣ ، دائرة المعارف العثمانية، ط١ ، حيدر أباد ، ١٩٦٧م.
٣٧- السيوطي ، تفسير الجلالين الميسر ، حقق وعلق عليه ، د/ فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

References :

1- aliasfhaniu , hilyat al'awlia' , ja10 , dar alfikr alearabii , bayrut , 1996 m

2- altuwsiu , allamae , tahqiq du/ eabdalhalim mahmud , dar alkutub alhadithat , ta1 , alqahirat 1960m

3- 'ahmad mukhtar eabdalhamayd , muejam allughat alearabiat , ja2 ,ealam alkutub, ta1 , alqahirat 2008m.

4- alsilami , risalat fi ghalatat alsuwfiat , tashih du/ eabdalfataah alfaw mahmud , dimn kitab majmueat athar alsilmii , markaz mutalaeat nashr , tahran 1388h.

5- alqashaniu , litayif alaeilam , tahqiq du/ saeid eabdalfataah , alhayyat almisriat aleamat lilkitab , ta3 , alqahirat , 2008m.

6- masiniuwn wamustafi eabdalraaziq , altasawuf wal'iislam , tarjamat du/ 'iibrahim khurshid wakhrun , dar alkitab allubnanii , ta1 , bayrut , 1984m.

7- alzumakhshiriu ,alkashaf , tahqiq du/ khalil mamun shiha , dar almaerifat , ta3 , bayrut , 2009m.

8- rafiq aleajam , mawsueat mustalahat altasawuf aliaslamii , maktabat lubnan nashirun , ta1 , bayrut ,1999m.

9- abn earabiin , kitab almasayil , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

10- abn earabiin , risalat aliantisar , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

11- abn earabiin , risalat 'iilaa al'amam alraazii ,dman rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

12- abn earabiin , kitab astilah alsuwfiat , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

13- abn earabiin , kitab alya' , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

14- abn earabiin , kitab alfana' fi almushahadat , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

15- abn earabiin , kitab natayij aliadhikar , dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

16- abn earabiin , alfutuhat almakiyat , ja3 , tahqiq du/ euthman yuhyi , murajaeat du/ abrahim madkur , alhayyat aleamat lilkitab , alqahirat , 1972m.

17- abn earabiin , kitab almasayil dimn rasayil abn earabiin , dar alkutub aleilmiat , ta1 , bayrut , 2007m.

18- da/ 'ahmad mahmud sabhi , altasawuf 'iijabiaatih wasalbiaatih , dar almaearif , alqahirat , da.t.

19- abn khaldun , almuqadimat , ahya' alturath , ta1 , bayrut , 1975m.

20- eabdalrahman badawi , shatahat alsuwfiat , maktabat alnahdat almisriat , alqahirat , 1949m .

21- du/ 'abu alwfa alghunimiu altiftazaniu , madkhal 'iilaa altasawuf alaslamii , dar althaqafat lilnashr waltawzie , ta3 , alqahirat , da.t.

22- alhalaaj , aldiywan , dimn kitab alhalaj , da/ mustafi ghalib , muasasat eizi aldiyn liltibaeat walnashr , bayrut , 1982m.

23- alghazaliu , ahya' eulum aldiyn , ja3 , dar alhadith , ta1 , alqahirat 1998m.

24- aibn taymiat , risalat alsuwfiat walfuqara' , tahqiq du. muhamad jamil ghazi , dar madaniun , alqahirat , da. t .

25- aljunid - alsarafiu 'anfas alsuwfiat , taqdim da/ eabdalbari dawud , tahqiq du/ judat muhamad 'abu alyazid , dar jawamie alkalim , alqahirat , 1426h.

26- da/ eabdalkarim alkhatib , altasawuf walmutasawifat fi muajahat al'iislam , dar alfikr alearabii , tu1 , alqahirat , 1980m.

27- alshaerani , shatahat alsuwfiat , dimn kitab "'abu yazid albustami " tahqiq du/ qasim muhamad eabaas , dar almadi , ta1 , alkuayt , da.t.

28- alzubaydiu , taj alearus , ja6 , tahqiq du/ mustafi hijazayun , wizarat alarshad , bialkuayt , 1969m.

29- alqushayri , arbae rasayil fi altasawuf , tahqiq du/ qasim alsaamaraayiy , matbaeat almajmae aleilmii aleiraqii , baghdad , 1969m.

30-alathanwiu , mukhtasar kashaf astilahat alfunun waleulum , taqdim du/ sahar sami , alhayyat aleamat lilkitab , alqahirat , 2007.

31- alkilabadhiu , altaearuf limadhhab 'ahl altasawuf , tahqiq 'artharjun 'arbari alnaashir maktabat alkhanji , ta2 , alqahirat , 1994m.

32- aljirjani , altaerifat , tahqiq du/ eabdalmuneim alhafnii , dar alrashad ,

alqahirat 1991mi.

33- abn alqiam , madarij alsaalikin , ja2 , dar altaqawiy , alqahirat , da.t.

34- du/ hasan muhamad alsharqawi , 'alfaz alsuwfiat wamaeaniha , dar almaerifat aljamieiati, ta2 , alaskandariat , 1998m.

35- alghazaliu , mukashafat alqulub , maktabat alzahra' , ta1 , alqahirat , 1983m.

36- du/ muhamad tahir alsidiyqi , mujamae bahaar al'anwar fi ghurayb altanzil , ji3 , dayirat almaearif aleuthmaniati, ta1 , haydar 'abad , 1967m.

37- alsuyutiu , tafsir aljalalayn almuyasir , haqaq waealaq ealayh , du/ fakhr aldiyn qabawatan , maktabat lubnan nashirun , ta1 , bayrut , 2003m.